


1436هـ - 2015 م

# اقلوا عليهم...

للشيخ

عمر محمود أبو قتادة

مجموعة نخبة الفكر

# اقلوا عليهم ....

## للشيخ/ عمر محمود أبو قتادة (حفظه الله)

نُخْبَةُ الْفِكْرْ

جمادى الثاني ١٤٣٦ هـ – أبريل ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم...

وبه نستعين...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، أمّا بعد:

فهذه رسالةٌ مفتوحة إلى من يهمه الأمر، وذلك لما كثر من اللغط حول قضايا تهم أصحاب الشأن ممن توجه لهم هذه الرسالة، وهؤلاء رجالٌ أخيار أو قائدٌ حكيم مولى أمر قضيةٍ عظيمةٍ في هذه الأُمَّة، ولو جاز للمرء أن يقضي بغيابهم لجاز ذلك لما يعلم من اتحاد القلب في مثل هذه الشؤون بين كاتب هذا الكلام وبين المخاطب بهذا الكلام، فهما على غرزٍ واحد من فهم القضايا، وبينهما من الحب الذي يدفع الواحد أن يسلم نفسه لحبيبه في أمر الفكر والرأي ما لم يكن فيه نصٌ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الرسالة وإن بدت أسئلة لكنها كذلك أجوبةٌ للأسئلة التي تطرح ها هنا، والله الموفق والهادي للخير في الرأي والنظر.

إن من مهمات القائد وهو يعمل لدين الله تعالى أن يوّحد الجهود وأن يجمع اللبنات ما استطاع، وهذا حكمٌ إلهيٌّ منصوصٌ عليه في الكتاب والسُنّة وذلك لقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ)، ولما كانت الأسماء في بعض صورها تفرق ولا تجمع، كان على القائد أن لا يتمسّك بها أمام مهمات الأُمَّة، بل يعرض عنها لأنها تكون حينئذٍ من أمور الجاهلية كما سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة التنادي؛ يا للمهاجرين، ويا للأنصار، ولذلك كان على كل جهادٍ قام في ظرفٍ من الظروف أن يترك بلا حمل راية قديمة حملت من الهموم والمشاكل والقضايا العالقة التي تؤثر في مسيرة الجهاد والحدث الجديد، وهذا من مصلحة الجهاد، ولكن قد يكون في إعادة رفع الراية القديمة مصلحةٌ راجحة عند البعض كما حدث في جهاد الناس في العراق، فإنه بدا للبعض أن يرفع القائد راية القاعدة لما يحقق هذا من استغلال عاطفة الناس نحوها في قتال الأمريكان وهذا الأمر وآثاره حديث العهد وقريب الذكرى، ولأمورٍ أخرى يعرفها أهل الشأن كغيظ الكفار وإرسال الرسائل الإيمانية أن طائفة الجهاد لم يصبها من الكلال والفناء ما أَملتم، بل خاب ظنكّم، وكان هذا في الكثير من جوانبه مصيباً كما هو شأن الآراء البشرية، إذ لا يمكن لها أن تحمل الحق المطلق كقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم. ولذلك سارعت الكثير من الجماعات الجهاديّة إلى البيعة لهذه الجماعة، والتي كانت قبل هذا الأمر في اختلافٍ معها

في بعض قضايا الاجتهاد والعمل، مع تحمّل تبعات هذه البيعات من عداء الكافرين ووصمهم بالشر ووضعهم تحت نيران القتل والملاحقة.

ثم جاء الجهاد الشامي المبارك، وقد حاول الناس فصل هذا الجهاد عن تبعات الماضي وما فيه ، وذلك عن طريقين، إمّا واقعاً في عدم الارتباط الحقيقي بل مجاوزة هذا إلى إعادة قراءة المشهد الجهادي بصورةٍ أخرى غير ما تَقَدَّم ، وذلك بحسب رؤاهم من تجنب أخطاء الماضي كما يقولون، ولذلك رفعوا راياتٍ حاولت المزج بين الظرف الحالي والقُطرية مع رؤية الجهاد الشرعي، والعمل خارج الراية والفكرة في بعض جوانبها، وأمّا الطريق الثاني فهو الفصل في الأسماء دون الحقائق، مع الارتباط التنظيميّ الكامل، والغرب في هذا ليس هيناً في اكتشافه الاستخباري لمثل هذه المحاولات، والمرء يمكن له أن يؤيد الفريق الأول لو كان في توافقٍ فكريٍّ معه في رؤية معنى الجهاد الكلي كما يتصوره هذا الفريق، ولكن ولا شك حول هذه الرؤية خلافٌ مهم، وأمّا الفريق الثاني فقد كشفت محاولته استخبارياً ووضع في صف الإرهاب المعادى من قِبَل طاغوت العصر أمريكا، ثم جاءت النهاية لهذا حين قام الجهلة الاغبياء باعلان نوع الارتباط بين قيادتهم وقيادة هذا الشق لهم، مما حدا الأمير إلى عملٍ أنقذ فيه ما يمكن إنقاذه من التعلق بالأصل الذي عليه الجميع قبل الخيانة ونقض العهد، وهذا لو كان بغير هذا الدافع لكان فساداً لا يشك فيه أحد، ولعُدَّ صاحبه مفسداً لا يستحق وصف الإمارة.

كان يمكن قبل كل هذه التطورات أن يؤيّد المرء الصف الأول من غير تنظيراته الفكرية كما تَقَدَّم، أي أن يقال دعوا هذا الجهاد الوليد وآلامه دون أن تحملوه تبعة تاريخكم وخصوماتكم، ولكن كان ما كان، ولأن البعض لا يحتمل الافتراق على معنى حكمة العمل فإنه لا بُدَّ أن يكسو فراقه مسحة الوجهة العلمية ولذلك سارعوا إلى إعلان الافتراق المنهجي كما كان عليه قادتهم، وهنا لا يستطيع المرء أن يعزل الرؤية الحكيمة في افتراق الأسماء عن خطأ النظر المنهجي في نوع الجهاد وصورته واتجاهه.

الاسم ضرورة وجوديّة كما هو معلوم، وهو على أوضاعٍ مختلفة، يأخذ المعنى الشرعي كما يأخذ الوضع الاصطلاحي وهكذا، وهو مع وجوده الأرضي فإنه لا بُدَّ أن يحمل مرضه كذلك كما يعلم هذا كل من نظر إلى الوجود وما حوى، فإن الله تعالى لم يخلق شيئاً في هذا الوجود إلا وجعل علته فيه، وذلك فتنةً للناس. ومن ذلك؛ الأسماء والجماعات والتنظيمات، وهذه الأسماء المحدثة من وضع البشر لا يوالى عليها كما لا يُعادَى عليها كذلك، لأنها وضعٌ إنساني،

وما كان كذلك فهو خارج الفتنة التي نبتلي الناس عليها بالحب والبغض، ومن فعل ذلك أجرم في حق الدين، وجعل ما هو إنتاج بشري على معنى الوضع الإلهي، وهذا يخطيء فيه الكثير من الناس عملاً حتى وهم يؤصّلون له في النظر، ولكن حين يصبح الاسم مع وضعه الاصطلاحي أي البشري حاملاً لمفاهيم ما تكون حصراً له فحينها يكون صراع الآخر ضدك في تغيير هذا الاسم أو التنظيم هو جزء من معركة ضرب هذه المفاهيم، وهذا لا يعني أن أيّ اسمٍ في الوجود بوضعه الاصطلاحي يصلح للدوام والبقاء للأبد، ولا تنظيم من التنظيمات كذلك، بل لا بُدَّ له من يومٍ يزول فيه، إمّا لدخوله في أمرٍ أكبر منه أو ذهاب ضرورته، والأمر فيه كأمر الناس، فإنه من المعلوم أن بعض البشر قد يصبح شخصه دلالة على حق او باطل، فحينها يوالى لهذا الحق ويعادى لهذا الباطل، وقد صار اجتماع حب علي مع عثمان – رضي الله عنهما – رمزاً للسُنّي دون البدعي في وقت الفتنة، كما صار أحمد بن حنبل رمزاً للسُنّة في ظرف فتنة خلق القران، ومن نازع هذا الحب في ظرفه فهو ساع إلى البطلان مهما تزيى بزينة عدم تقديس الأشخاص والرموز، والأمر دقيق بين الحالتين، أي في كون الأسماء والتنظيمات وضعاً بشرياً وبين كونها في ظرفٍ من الظروف تمثّل الحق وتكوّن صبغتها في الوجود هي صبغة الحق، والموالاة وإن كانت لا تكون عليها لكنها تكون على الحق الذي التزمت به وتميّزت عن الآخرين بحمله.

والبحث في الانتقال من اسمٍ إلى اسم ومن حالةٍ إلى حالة لا يكون استجابةً لطلب الآخرين ودعواتهم ولكنه يكون بفرض الآخرين رؤيتهم وإيقاعهم العملي الذي يدخل الخير الموجود في خيرٍ أعظم منه، فالمشكلة لا تكون بوجود القديم كما يزعم بعضهم، وأن وجوده يمنع الخير، بل السبب هو أن هذا الآخر لا يملك قدرة فرض الحق كما يتصوّره ويشتهيه، ولذلك في الحقيقة هؤلاء أهل وهم فإن الحق المتصوّر موجودٌ عند هؤلاء في الأذهان إن أحسنّا بهم الظن وهم أعجز من فرضه على الواقع، واقول ان احسنا بهم الظن والا فإن الحقيقة تقول إن تصورهم للحق مدخول، فعلى هؤلاء أن يقوموا بشأن الحق كما يتصوروه حتى يتلاشى القديم من تلقاء نفسه وبالتالي تصبح دعوات إزالته لا ضرورة لها، أمّا هذا اللعب واللهوالذي يمارس من قِبَلهم من ضرورة حل القديم من تلقاء نفسه دون وجود الجديد الذي يملئ المكان ويزيد من جرعة الحق ويُمَكّنه أكثر مما هو عليه فهذا محمولٌ على التآمر والإفساد والخبث شاؤوا الإقرار بهذا أم ماروا وجادلوا.

ومن المعلوم أنه في مراتٍ كثيرة يكون الخطاب دينياً ويحمل جرعة التقوى، والعلماء قديماً سموا بعض أنواع التقوى بـ«الباردة» لأنها صورية لا حقيقة لها ومن حقنا أن نسمي لباس التقوى المزعوم اليوم بالتقوى المتآمرة، وذلك أنه سيقال

لهؤلاء القادة كلاماً يخجل من رده كدعوته إلى ترك الإمارة والتنازل عنها وتزيين هذا الطلب بالزهد في الدنيا والهروب من الإمارة، والقائد إن كان مغفلاً قبل هذه الكلمات واستجاب لما تحتها دون النظر إلى السم النقيع فيها، ولا إلى المقاصد وراء هذا الناصح الشيطاني، وأمّا القائد السُني الذي يحقق المقاصد العليا للإسلام فإنه لا يردُّ الا كما ردَّ الصديق رضي الله عنه وهو يخوّف من لقاء الله في دعوة من دعاه إلى عدم تولية الفاروق من بعده فقال: "أَبالله تخوفوني؟"، وذلك لعلمه بالله وبما أصاب من الحق، وببصيرته أن لا يستجيب إلى عمل مفضول تحت باب التخويف من الله تعالى.

والقصد أن المرء لا يترك الخير للفضاء أي للاشيء ، بل لا يترك عملاً فيه الخير إلا لعملٍ هو أفضل منه، وأعظم أجراً، والذين يدعون إلى حل الجماعة، وإلى ذوبانها، ينبغي النظر إلى المقابل اليوم ، وما هي النتيجة التي سيؤول الناس إليها، وهل سيكون البديل خيراً من الموجود القائم، هذا ما يقرر الحكم.

والعاقل البصير يعلم أن الدعوة المشبوهة هذه ليس خلفها هَمُّ الإسلام ولا مصلحة الشريعة، بل ضاق ذرعهم بما جذرت من حق، وأبانت من سبيل هُدى، ثم كان من توفيق الله تعالى لها أنها ما فُتنت فتنةً إلا خرجت منها أشد وأصلب، والناس يريدون هلاكها والله يمدُّ لها الأغصان والفروع، ويبسط لها المحبة في القلوب، ويخرج منها توفيقاً منه الغثّ والعفن والقذر، حتى تبقى على صورةٍ من الحق كما هو شأن أهلها في الإخلاص نحسبهم والله حسيبهم، فهي التي قدمت الشهداء، وضربت رأس الكفر حيث ابتهج بفعلها عموم المسلمين بحمد الله تعالى، فيقال الآن ماذا سيقدم البديل إن ذهبت هذه الحقيقة، ونحن ما زلنا نعيش الذكرى التي تمد الناس بالشجاعة وصور التضحية والشهادة، فهل يراد إذهاب كل هذا من أجل أملٍ زائف وصورةٍ غائمة لا يتبيّن مستقبلها على وجه من الوضوح بله الأفضل المأمول.

والذين يريدون غيرها يقال لهم ها هو الميدان، وها هي سبل الحق والجهاد قد مهدت، وها هي مقامات التنافس قد بسطت فأقيموا من الأفعال ما يجعلكم أحق بالإمامة من غيركم، ذلك لأن الإمامة تنافس واصطفاء بقدر البذل والعطاء، ولكن إياكم وصناعة الباطل كما فعلها أهل الغلو حيث ذهبوا إلى مضمار الغلو الموصل إلى الخذلان في المآل، فإن تعاظمه وتمدده في ظرف هو تعاظمٌ سرطاني، يكون فيه التمدد لكنه لا يقيم الحق ولا يديمه، وحاله كحال شارب المخدرات والمنشطات يقوى للحظة ويتعاظم ثم يؤول إلى هلاكٍ ودمار، وهذا هو شأن أهل البدع حين تقدم،

فإنها تجرّ وراءها الزبد من البشر في وقت ضعف العلم وقلة الفهم والدين، ثم لا تلبث أن تزول بزوال أثر المخدر عن صاحبها حتى تؤول إلى ضعفٍ وهلاك ولذلك فإن التنافس يكون في ميدان السُنّة والحق، لا بالشر الذي هو أجمع للناس في وقتنا.

ثم إننا نعلم أن الثبات على الاختيارات الاجتهادية مهلكٌ غير سديد، لأن الحياة عالَمٌ متغيّر لا يستقيم معها إلا دوام الاجتهاد والاكتشاف، فهذا شأن الفتوى كما هو معلوم، لكن يقال هاهنا: ما الذي تغيّر من الواقع حتى يتم الاستبدال، فإن الواقع ما زالت علل البناء للاختيار كما هو، ولم يتغيّر إلا بعض القشور التي لا تؤثر في الاختيار والفتوى.

نعم قد يقول المرءِ أن حمل الأسماء القديمة يؤدي إلى حمل ميراثها، فنقول: إن هذا الكلام كان قديماً ومن قدر الله لهذا الدين ان ابى الا تواصل الحق ومده واتمامه، شاء أهل النظر أم أبوا، شاء الخصوم أم لجوا، والله الموفق.

هذا هو النظر الأول وسيليه الكلام إن شاء الله تعالى حديث عن أمر التحالفات واتحاد الجماعات وذلك بفك الارتباط مع الأصل، إذ مدار الحديث ما زال عليه من الجميع.

والحمد لله رب العالمين.